مجلة معهد الإمام الشاطبي

﴿هَٰذَا ذِكْرُ﴾

دلائل ودلالات

إعداد

د. مسعد بن مساعد الحسيني

الأستاذ المشارك بقسم التفسير وعلوم القرآن – كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

- من مواليد عام ١٣٨٠هـ بالمدينة المنورة.
- تخرج في كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة عام ١٤٠٥هـ.
- نال شهادة الماجستير من قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة عام ١٤١٠هـ بأطروحته: **"منهج شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في التفسير مع تحقيق جزء من تفسيره"**، كما نال شهادة الدكتوراه منه عام ١٤١٧هـ بأطروحته: **"الإيضاح في التفسير لقوام السنة الأصفهاني: تحقيق ودراسة من سورة الفاتحة إلى نهاية سورة المائدة"**.
- من أعماله المنشورة: **"التبيان فيما جاء في الكتاب العزيز من حب الأوطان"**، **"العدل والإحسان مع المخالف في ضوء القرآن"**.
- البريد الشبكي: mosed.m.h@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد :

فقد سمى الله تعالى كتابه بأسماء عديدة، ووصفه بصفات متنوعة، تدل على عظمته، وجلالة قدره، ومن ذلك أن الله تعالى سماه (ذكراً)، ولهذا الاسم معانيه العديدة، ودلالاته الواسعة، وأدلة تلك الدلالات المتعددة، وفي هذا البحث حاولت أن ألقي الضوء على هذا الاسم، ودلالاته الواسعة، مع الاستدلال لتلك الدلالات من الكتاب نفسه، مؤيدا وداعما تلك الدلالات بأدلتها من الكتاب نفسه، مع إيراد ما يشهد لهذا من السنة وكلام أئمة التفسير، ومنها أنه ذكر لله، وذكر شرف، ومذكر للإنسان بهادته وأصل خلقته، ومذكر بأخبار السابقين واللاحقين، ونحو ذلك، ليتبين من خلال هذا عظمة هذا الاسم وسعة دلالاته، ولينسج على منواله في دراسة أسماء القرآن كلها.

الكلمات المفتاحية: دلائل، دلالات، القرآن، دلالة، دليل، ذكر.

وبالله التوفيق.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، بأجزل معنى، وأبلغ خطاب، تبصرة وذكرى لأولي الألباب، والصلاة والسلام على من خصه ربه بالنعم، وأتاه جوامع الكلم، وعلى آله وصحبه أولي الإباء والشمم، ومن سار على نهجه من سائر العرب والعجم، أما بعد:

فلما أجلت ناظري في كتاب الله وجدت الله قد عظم كتابه - وهو جدير بالتعظيم - بتعدد أسمائه، وكثرة الأسماء دالة على كثرة الصفات، وكثرة الصفات دالة على عظمة المسمى الموصوف.

وكان من تلك الأسماء {الذكر الحكيم} وقد وجدت هذا في غير ما موضع، فمنه: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٥٨] وقوله: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِىٓ ۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾ [ص: ٨].

ولما تأملت دلالة هذا الاسم رأيتها واسعة، شاملة، عظيمة، فأحببت أن ألقي الضوء على هذا الموضوع؛ من خلال بيان آية ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ [ص: ٤٩]. ومضامينها، ودلالاتها، وأدلتها، في بحث أسميته (﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ دلائل ودلالات) وقد قسمت الموضوع إلى مقدمة، وتمهيد، وستة مباحث، وخاتمة.

أما المقدمة فتشتمل على ما يلي :

١- أهمية الموضوع.

٢- أهداف الموضوع.

٣- أسباب اختياره .

٤- الدراسات السابقة .

٥- إضافة البحث .

٦- منهج البحث وإجراءاته.

٧- خطة البحث.

وأما التمهيد فقد بينت فيه ما يلي:

١. **من أدلة عظمة الكتاب كثرة أسمائه.**

٢. **تضمن القرآن لجوامع الكلم.**

٣. **كلام المفسرين في عظمة هذا الوصف** ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾.

٤. **المراد بالدلائل والدلالات.**

وأما المباحث فهي كما يلي:

المبحث الأول: القرآن ذكر لله تعالى.

المطلب الأول: دلائل هذا المعنى في الذكر الحكيم.

المطلب الثاني: دلالات هذا المعنى وبيانه في الذكر الحكيم.

المبحث الثاني: القرآن ذكر وشرف لقارئه.

المطلب الأول: دلائل هذا المعنى في الذكر الحكيم.

المطلب الثاني: دلالات هذا المعنى وبيانه في الذكر الحكيم.

المبحث الثالث: القرآن ذكر للمعاد والجزاء.

المطلب الأول: دلائل هذا المعنى في الذكر الحكيم.

المطلب الثاني: دلالات هذا المعنى وبيانه في الذكر الحكيم.

المبحث الرابع: القرآن ذكر للشريعة.

المطلب الأول: دلائل هذا المعنى في الذكر الحكيم.

المطلب الثاني: دلالات هذا المعنى وبيانه في الذكر الحكيم.

المبحث الخامس: القرآن ذكر للنعم.

المطلب الأول: دلائل هذا المعنى في الذكر الحكيم.

المطلب الثاني: دلالات هذا المعنى وبيانه في الذكر الحكيم.

المبحث السادس: القرآن ذكر لأصل الإنسان.

المطلب الأول: دلائل هذا المعنى في الذكر الحكيم.

المطلب الثاني: دلالات هذا المعنى وبيانه في الذكر الحكيم.

المبحث السابع: القرآن ذكر قصص الأولين.

المطلب الأول: دلائل هذا المعنى في الذكر الحكيم.

المطلب الثاني: دلالات هذا المعنى وبيانه في الذكر الحكيم.

الخاتمة والفهارس العامة.

١- أهمية الموضوع : تتمثل أهمية الموضوع في أمور منها :

١- أن البحث في أسماء القرآن الكريم يورث تعظيم القرآن ؛ لأن الأسماء تدل على الصفات، وكثرتها تدل على عظمة المسمى لتعدد صفاته .

٢- أن هذا الموضوع يدخل ضمن التفسير الموضوعي من وجه، ذلك أنه يجمع الآيات المتعلقة بهذا الاسم في بحث واحد .

٣- أنه يساهم في فتح آفاق للباحثين، لمواصلة هذا المشروع بدراسة أسماء القرآن اسماً اسماً، دراسة منهجية مستفيضة .

٢- أهداف الموضوع : للموضوع أهداف عديدة منها :

١- إلقاء الضوء على هذا الاسم الشامل العظيم (الذكر).

٢- بيان أدلة معاني هذا الاسم من الكتاب وبيانه وأقوال المفسرين .

٣- المساهمة في إثراء هذا الجانب، المتعلق بدراسة أسماء القرآن الكريم، لتأكيد عظمته وشموله .

٣- أسباب اختيار الموضوع :

١- الرغبة في لفت الأنظار إلى عظمة القرآن الكريم، من خلال سعة دلالة أسمائه، ومعانيها .

٢- أردت أن أسن سنة حسنة في سلسلة دراسات لأسماء القرآن الكريم، تفرد كل اسم بدراسة مستقلة، ليأخذ قدراً من الدراسة المتأنية الشاملة .

٣- أنني لم أجد فيما وقفت عليه دراسات على هذا المنوال بتخصيص كل اسم للقرآن الكريم بدراسة مستقلة في مؤلف خاص، فأردت أن أساهم في سد ثغرة في المكتبة القرآنية في هذا المجال .

١- الدراسات السابقة :

لأهمية هذا الموضوع أسماء القرآن الكريم فقد عني به العلماء قديماً وحديثاً، فمنهم من ذكر جملة من أسمائه في ثنايا مؤلفاتهم، كالزركشي في (البرهان في علوم القرآن)والسيوطي في (الإتقان) والفيروز آبادي في (بصائر ذوي التمييز)، ومنهم من ألف فيها مؤلفات مستقلة .

فممن ألف في أسماء القرآن :

١- علي بن أحمد بن الحسن التجيبي الحرالي، المتوفي سنة (٦٤٧هـ).

٢- ابن قيم الجوزية المتوفي سنة (٧٥١)، ألف كتاب (شرح أسماء الكتاب العزيز).

٣- الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي، ألف كتاباً عنوانه: (الهدى والبيان في أسماء القرآن).

٤- محمد جميل أحمد غازي وألف كتاباً أسماه (أسماء القرآن في القرآن).

٥- الدكتور : آدم بمبا، ألف كتاباً أسماه (أسماء القرآن الكريم، أسماء سوره وآياته).

٢- إضافة الدراسة :

لقد سرت على منوال العلماء، واهتديت بمناهجهم في أصل هذه الدراسة، إلا أنني حاولت أن أميز دراستي بما يلي :

١- الدراسة المنهجية المتسقة لكل معنى من المعاني .

٢- الدراسة الموسعة لكل معنى من المعاني .

٣- الجمع بين معاني الاسم ودليل كل معنى .

٣- منهج الدراسة :

١- بيان المعنى من معاني هذا الاسم (الذكر).

٢- الاستدلال لهذا المعنى من الكتاب والسنة وأقوال المفسرين .

٣- توثيق ما أذكره سواء من معاني الاسم أو أدلته توثيقاً علمياً .

٤- السير على منهج متسق في جميع معاني هذا الاسم، ليسهل استيعاب المعاني، وانتظامها في ذهن القارئ .

التمهيد

١- من أدلة عظمة الكتاب كثرة أسمائه:

من المعلوم المتقرر عند العلماء أن كثرة أسماء المسمى تدل على كثرة صفاته، وكثرة صفاته تدل على عظمته، فقد جمع صفات شتى، كلما نظرت له من ناحية رأيت فيه معنى عظيماً، فاجتماع تلك المعاني في مسمى واحد دليل على عظمته، ألا ترى إلى كثرة أسماء ربنا العظيم سبحانه، حتى إن من أسمائه ما استأثر به في علم الغيب عنده، وذلك دليل عظمته سبحانه وهو العظيم.

أوَلا ترى إلى كثرة أسماء نبينا ﷺ، وهو ذو الخلق العظيم ﷺ.

قال الفيروزآبادي: «اعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، أو كماله في أمر من الأمور؛ أما ترى أن كثرة أسماء الأسد دلت على كمال قوته، وكثرة أسماء القيامة دلت على كمال شدته وصعوبته، وكثرة أسماء الداهية دلت على شدة نكايتها. وكذلك كثرة أسماء الله تعالى دلت على كمال جلال عظمته؛ وكثرة أسماء النبى ﷺ دلت على علو رتبته، وسمو درجته. وكذلك كثرة أسماء القرآن دلت على شرفه، وفضيلته»[(١)].

وكذا ذكر أن الأسماء تدل على شرف المسمى السيوطي في الإتقان[(٢)]. وابن مرعي في قلائد المرجان [(٣)]. وهكذا فكثرة أسماء القرآن الكريم دلت على عظمته .

٢- تضمن القرآن لجوامع الكلم:

من المعلوم أن مما آتى الله نبيه ﷺ جوامع الكلم حيث قال: «**أوتيتُ جوامعَ**

(١) بصائر ذوي التمييز إلى لطائف الكتاب العزيز (١/ ٨٨).

(٢) الاتقان (١/ ١٧٢).

(٣) قلائد المرجان (١/ ٤٩).

الكَلِم، واختصر لي الحديث اختصارا»[(١)].

وجوامع الكلم، الكلمات الجامعات التي تشتمل على معانٍ عظيماتٍ، ودلائل واسعات.

قال الزهري: «جوامع الكلم – فيما بلغنا – أن الله يجمع له الأمور الكثيرة، التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأمرين ونحو ذلك»[(٢)].

وقال الهروي: «جوامع الكلم: يعني به القرآن، جمع الله تعالى في الألفاظ اليسيرة منه المعاني الكثيرة، وكلامه ﷺ كان بالجوامع قليل اللفظ كثير المعاني»[(٣)].

وقال الأزهري: «**أوتيتُ جوامعَ الكَلِم**» يَعْنِي الْقُرْآن وَمَا جَمَع الله عزَّ وجلَّ بِلُطْفِهِ من الْمَعَانِي الجَمَّة فِي الْأَلْفَاظ القليلة، كَقَوْلِه تَعَالَى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف :١٩٩].

وقال ابن الأثير: وفيه «**أوتيت جوامع الكلم**» يعني القرآن، جمع الله بلطفه في الألفاظ اليسيرة منه معاني كثيرة، واحدها جامعة: أي كلمة جامعة[(٤)].

فجوامع الكلم في الوحيين جميعاً ؛ الكتاب والسنة .

أما الكتاب فمن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠] وهي أجمع آية في الخير والشر.

وقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [المائدة :٢] .

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٦/ ١١٢) والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٧١) وقوله "أعطيت جوامع الكلم" متفق عليه. وقد تقدم تخريجه.

(٢) ذكره عنه البخاري في صحيحه (٩/ ٣٦).

(٣) النهاية في غريب الحديث (١/ ٢٩٥).

(٤) المرجع السابق بصحيفته.

فهي آية آمرة بالتعاون على كل بر وتقوى، مع سعة معنى البر والتقوى وكثرة أفرادهما، وناهية عن التعاون على كل إثم وعدوان، مع سعة المأثم، وتنوع الاعتداءات، وتجاوز الحدود، في حق الخالق والمخلوق.

وقوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾[الأعراف : ١٥٧].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة:٧، ٨] وهي آية فذة جامعة، وقد دلت النكرة المضافة في قوله {مثقال ذرة} على العموم والشمول مع شمول النكرة التي ميز بها {خيرا} و{شرا}.

وأما جوامع الكلم في السنة فمنها: قوله ﷺ:«**الدين النصيحة**»(١)، وقوله ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**»(٢)، وقوله ﷺ: «**قل آمنت بالله ثم استقم**»(٣)، وقوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**»(٤).

وقد جمع العلماء طائفة من جوامع الكلم، من أقوال المصطفى ﷺ في مؤلفات من أشهرها (**جامع العلوم والحكم بشرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**) لابن رجب الحنبلي.

وجوامع الكلم قمة في البلاغة، إذ (البلاغة الإيجاز) كما قال أهل العلم، ومن رزق عناية، وفهما لجوامع الكلم تبين كيف صار هذا الكتاب المحدود في سوره وآياته، وهذه السنة المجموعة، كافية للعالم إلى قيام الساعة عما سواها، إذ يندرج تحت تلك الكليات، والأصول الجامعات، ما لا يتناهى من الجزئيات، وإخال أن من أسماء القرآن ما جمع معان واسعة كالمجيد، والهدى، والنور ونحوها.

(١) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان: باب بيان أن الدين النصيحة (١/ ٥٣) ح (٢٠٥).
(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٣١٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع ح (٧٥١٧).
(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٤١٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع ح (٤٣٩٥).
(٤) رواه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الوحي (١/ ٢) ح (١).

واسم القرآن {الذكر} من الأسماء الجامعة في معانيها، الواسعة في مقاصدها ومراميها، وهو ما أنا بصدد إلقاء الضوء عليه في بحثي هذا.

٣- كلام المفسرين في عظمة هذا الاسم {الذكر}:

جاء في كتاب الله تعالى وصف القرآن بأنه ذكر، وقد نوه العلماء بما يدل على عظمة هذا الاسم للقرآن الكريم وشموله.

فقال الطبري عند قول تعالى:﴿هَٰذَا ذِكۡرٞ﴾: «يقول تعالى ذكره: هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد ذكر لك ولقومك، ذكرناك وإياهم به »[(١)].

وقال ابن كثير : «وقوله: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ [ص:١] أي: والقرآن المشتمل على ما فيه ذكر للعباد، ونفع لهم في المعاش والمعاد ».

ثم ذكر قولي العلماء في معنى ذلك: أحدهما: أن فيه تذكيراً للعباد.

والآخر: ذي الشرف أي: ذي الشأن والمكانة.

وعقب بقوله: «ولا منافاة بين القولين، فإنه كتاب شريف مشتمل على التذكير، والإعذار، والإنذار»[(٢)].

ومن أحسن من رأيته احتفى بهذا الاسم، وما دل عليه من كريم المعاني السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره الماتع **"تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"** حيث يقول عند قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ أي: «ذي القدر العظيم والشرف، المذكر للعباد كل ما يحتاجون إليه من العلم، بأسماء الله وصفاته وأفعاله، ومن العلم بأحكام الله الشرعية، ومن العلم بأحكام المعاد والجزاء، فهو مذكر لهم في أصول دينهم وفروعه.

---

(١) تفسير الطبري: (٢١/ ٢٢٠).

(٢) تفسير ابن كثير: (٧/ ٥١).

وهنا لا يحتاج إلى ذكر المقسم عليه، فإن حقيقة الأمر، أن المقسم به وعليه شيء واحد، وهو هذا القرآن، الموصوف بهذا الوصف الجليل، فإذا كان القرآن بهذا الوصف، علم ضرورة العباد إليه، فوق كل ضرورة، وكان الواجب عليهم تلقيه بالإيمان والتصديق، والإقبال على استخراج ما يتذكر به منه»[(١)].

ويقول عند قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [آل عمران:٥٢] : «وهذا منة عظيمة على رسوله محمد ﷺ وعلى أمته، حيث أنزل عليهم هذا الذكر الحكيم، المحكم المتقن، المفصل للأحكام والحلال والحرام وإخبار الأنبياء الأقدمين، وما أجرى الله على أيديهم من الآيات البينات والمعجزات الباهرات، فهذا القرآن يقص علينا كل ما ينفعنا من الأخبار والأحكام، فيحصل فيها العلم والعبرة وتثبيت الفؤاد ما هو من أعظم رحمة رب العباد»[(٢)].

وقال في موضع آخر: ﴿وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ٩٩﴾ [طه : ٩٩] : أي: «عطية نفيسة، ومنحة جزيلة من عندنا. ﴿ ذكرا﴾ وهو هذا القرآن الكريم، ذكر للأخبار السابقة واللاحقة، وذكر يتذكر به ما لله تعالى من الأسماء والصفات الكاملة، ويتذكر به أحكام الأمر والنهي، وأحكام الجزاء، وهذا مما يدل على أن القرآن مشتمل على أحسن ما يكون من الأحكام، التي تشهد العقول والفطر بحسنها وكمالها، ويذكر هذا القرآن ما أودع الله فيها، وإذا كان القرآن ذكرا للرسول ولأمته، فيجب تلقيه بالقبول والتسليم والانقياد والتعظيم، وأن يهتدى بنوره إلى الصراط المستقيم، وأن يقبلوا عليه بالتعلم والتعليم»[(٣)].

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٧٠٩).

(٢) المصدر نفسه (١/ ١٣٢).

(٣) المصدر نفسه (١/ ٥١٢).

وهذا كله يبين عظمة هذا الاسم (الذكر) وسعته وشموله، واحتفاء العلماء به.

٤- المراد بالدلائل والدلالات :

الدلائل: جمع دليل، فكما يجمع الدليل على أدلة يجمع كذلك على دلائل، ومنه قول العلماء (دلائل النبوة) أي شواهدها وأدلتها.

قال ابن فارس: «الدال واللام أصلان: أحدهما: إبانة الشيء بأمارةٍ تتعلمها، والآخَر: اضطرابٌ في الشيء. فالأوَّل قولهم: دلَلْتُ فلانًا على الطريق. والدليل: الأمارة في الشيء. وهو بيِّن الدَّلالة والدِّلالة»[(١)].

وفي اللسان: «ودَلَّه على الشيء يَدُلُّه دَلاًّ ودَلالةً فانْدَلَّ: سدَّده إِليه، ...والدَّلِيل: ما يُسْتَدَلُّ به»[(٢)].

فالدليل: هو ما يشهد للشيء ويؤيده ويدل عليه من نقل أو عقل[(٣)].

وأما **الدلالات** فجمع دلالة، وهو المعنى المندرج تحت هذا اللفظ، فالدلالات هي المعاني التي دل عليها هذا الاسم الكريم (الذكر).

(١) معجم مقاييس اللغة (٢ / ٢٥٩).

(٢) مختار الصحاح (١/ ١٠٦).

(٣) انظر : الكليات لأبي البقاء الحنفي (١ :٤٣٩) والفروق اللغوية للعسكري (١/ ٦٩).

المبحث الأول

القرآن ذكر لله تعالى

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: دلائل هذا المعنى في الذكر الحكيم

القرآن ذكر لله تعالى، سواء بالقلب أو اللسان كما دل عليه قوله تعالى ﴿هَٰذَا ذِكْرُ﴾ كما سيأتي بيانه، وقد دل على هذا آيات عديدة منها:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه :١٢٤- ١٢٦] فقد سمى الله تعالى كتابه ذكراً يتلى، فيُذكَر به سبحانه، ويذكِّر به سبحانه.

قال القرطبي: «ومن أعرض عن ذكري أي ديني، وتلاوة كتابي، والعمل بما فيه»(١).

٢- قول الله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ فقد وصف الله القرآن بأنه ذو الذكر، ومن معاني ذلك أنه يذكَر به الله، ويذكِّر بالله.

وقد ذكر القرطبي في تفسيره بعض أقول المفسرين في معنى الآية ومنها، قول من قال: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ أي فيه ذكر أسماء الله وتمجيده(٢).

المطلب الثاني: دلالات هذا المعنى وبيانه في الذكر الحكيم

لا شك أن القرآن العظيم أعظم الذكر فهو ذكر لله في تلاوته، وذكر لله بما يذكر به من معاني أسمائه وصفاته ولقائه.

فتلاوته ذكر وأجر وذخر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ

(١) الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٢٥٨).

(٢) تفسير القرطبي (١٥/ ١٤٤).

وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:٢٩، ٣٠] وقد قال النبي ﷺ مبينا أجر التلاوة: «**من قرأ حرفا من القرآن فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**»(١).

فرتب الأجر على مجرد التلاوة، وذلك من أعظم أنواع الذكر، وهو سبب لذكر الله لعبده، فقد قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢]، وفي الحديث القدسي: «**من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منهم**»(٢).

ومما يدل على تحقق هذا المعنى وأن تلاوة القرآن من أعظم أنواع ذكر الله تعالى، قول النبي ﷺ: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله؛ يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**»(٣)وهو مصداق قوله: «**من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم**».

وتلاوة القرآن أعظم الطاعات، وأجل القربات إذ فيها ذكر وتذكير، ذكر للرب، وتذكير للعبد، وصلاح واستقامة لحال العبد، لذا قال العلماء: «ما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه» يعني القرآن، ويروى في هذا حديث مرفوع ولكن في ثبوته نظر(٤).

---

(١) رواه الترمذي في جامعه: أبواب فضائل القرآن: باب ما جاء في من قرأ حرفاً من القرآن (٥/ ٢٥) ح (٢٩١٠) وقال حديث حسن صحيح غريب وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٦/ ٤١٠).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٥/ ١٤٥) وأصله في صحيح البخاري: كتاب التوحيد: باب ويحذركم الله نفسه (٩/ ١٢١)ح (٧٤٠٥) وسلم: كتاب الذكر والدعاء: باب الحث على ذكر الله (٤/ ٢٠٦١) ح (٢٦٧٥).

(٣) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء: باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن (٤/ ٢٠٧٤) ح (٢٦٩٩).

(٤) روى الترمذي عن أبي أمامة مرفوعا: "ما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه" أخرجه في جامعه:=

وقد وعد الله أن يذكر من ذكره، ومن ذكر الله وفقه وسدده، وأعانه وكفاه، وهذا متحقق في ذكر الله بتلاوة القرآن.

أوصى الإمام إبراهيم المقدسي تلميذه عباس بن عبد الدايم فقال: «أكثر من تلاوة القرآن، ولا تتركه ؛ فإنه يتيسر لك الذي تطلبه على قدر ما تقرأ»(١).

وأما أن القرآن ذكر لله -أي مذكر به سبحانه- فهذا بما فيه من تقرير توحيد الله تعالى، سواء ما يتعلق بذكر ذاته وأسمائه وصفاته، أو ذكر ربوبيته، وتفرده بالخلق والتدبير، أو ذكر ألوهيته واستحقاقه للعبادة وحده لا شريك له.

بل إن القرآن كله في توحيد الله، ولتقرير توحيده، وبيان حقوقه، وجزاء الموحدين، وضرب الأمثال ولفت الأنظار، وبيان عاقبة المقصرين في التوحيد، بل وما بيان الشريعة إلا لأداء حق الإله بصدق التأله له، بالالتزام بشرعه، فعاد الأمر للتوحيد، وعاد لذكر الله، واندرج هذا كله تحت قوله ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ ولذا قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾ [الصف:٩].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الهدى التام يتضمن توحيد المطلوب، وتوحيد الطلب، وتوحيد الطرق الموصلة (٢).

والمتأمل في سورة الفاتحة - وهي أم القرآن التي ترجع إليها معانيه - يلحظ المقصد العظيم لهذه السورة التي جاء القرآن كله بياناً وتفصيلاً لها، وهو التوحيد الذي جاء القرآن ببيانه وتقريره.

=فضائل القرآن: باب (١٧) (٥/ ٢٦) ح (٢٩١١) وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، والحديث رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٦/ ٦٤٤).

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٣/ ٢٠٥).

(٢) التبيان في أقسام القرآن (١/ ٧٠).

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم .

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ توحيد ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ توحيد ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ توحيد ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ توحيد ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ توحيد ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ توحيد ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ توحيد متضمن لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد، الذين أنعم الله عليهم ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ الذين فارقوا التوحيد»[1].

ويقول في موضع آخر: وأما التوحيد الذي دعت إليه رسل الله، ونزلت به كتبه: فوراء ذلك كله وهو نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات، وتوحيد في الطلب والقصد.

فالأول: هو حقيقة ذات الرب تعالى، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وعلوه فوق سماواته على عرشه، وتكلمه بكتبه، وتكليمه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه، وقدره، وحكمه، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جد الإفصاح.

كما في أول سورة الحديد، وسورة طه، وآخر سورة الحشر، وأول سورة "تنزيل" السجدة، وأول سورة آل عمران، وسورة الإخلاص بكمالها، وغير ذلك.

النوع الثاني: مثل ما تضمنته سورة ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ وقوله ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ الآية، وأول سورة "تنزيل الكتاب" وآخرها، وأول سورة يونس، ووسطها، وآخرها، وأول سورة الأعراف وآخرها، وجملة سورة الأنعام، وغالب سور القرآن، بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد.

بل نقول قولا كليا: إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به،

(١) مدارج السالكين (٣/ ٤١٨).

داعية إليه، فإن القرآن: إما خبر عن الله، وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد . أ . هـ [١].

(١) مدارج السالكين (٣/ ٤١٨).

المبحث الثاني
القرآن ذكر وشرف لقارئه

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: دلائل هذا المعنى في الذكر الحكيم

ورد في كتاب الله تعالى آيات تدل على أن القرآن ذكر لقارئه أي شرف وعز ورفعة له وبذلك فسرها المفسرون وأهل اللغة .

ومن تلك الآيات:

١. قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [آل عمران :١٠] حيث قال ابن عباس رضي الله عنهما: «﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۚ﴾ شرفكم»[(١)]، «وقاله الفراء وابن قتيبة وحكاه الزجاج»[(٢)].

وكذا قال البغوي في تفسيره: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا﴾ «يا معشر قريش﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ يعني شرفكم، كما قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف : ٤٤] وهذا شرف لمن آمن به»[(٣)].

وقال ابن عطية: «يحتمل أن يريد : فيه شرفكم وذكركم آخر الدهر، كما تذكر عظام الأمور»[(٤)].

وقد اختار هذا القول الطبري في تفسيره حيث قال: «وهذا القول الثاني أشبه بمعنى الكلمة، وهو نحو مما قال سفيان الذي حكينا عنه، وذلك أنه شرف لمن اتبعه وعمل بما فيه»[(٥)].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٤٦).

(٢) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٠٠) وغريب القرآن لابن قتيبة (١/ ٢٤٢) ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٨٥).

(٣) تفسير البغوي (٣/ ٢٨٤).

(٤) تفسير ابن عطية (٤/ ٧٥).

(٥) تفسير الطبري (١٨/ ٤١٦).

وقدمه القرطبي، ثم حكى غيره من الأقوال، وعقب عليها بقوله : «قلت: وهذه الأقوال بمعنى، والأول يعمها، إذ هي شرف كلها، والكتاب شرف لنبينا ﷺ ، لأنه معجزته، وهو شرف لنا إن عملنا بما فيه »(١).

٢. قوله تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ﴾ [المؤمنون : ٧١] .

وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن المراد بذكرهم: شرفهم وإن كانوا قد ذكروا غير هذا المعنى مما يحتمله اللفظ؛

حيث قال الفراء: ﴿ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ ﴾ : بشرفهم(٢).

وقاله ابن قتيبة في غريب القرآن(٣). والزجاج في معاني القرآن حيث قال: أتى بما فيه فخرهم وشرفهم(٤).

وذكر الطبري في تفسيره بعد أن ذكر قول ابن عباس ﷺ بقوله: بينا لهم؛ قال: وقال آخرون بل معنى ذلك: بل أتيناهم بشرفهم، وذلك أن القرآن كان شرفا لهم، لأنه نزل على رجل منهم فأعرضوا عنه وكفروا به، وقالوا: ذلك نظير قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ﴾ وهذان القولان متقاربا المعنى، وذلك أن الله جل ثناؤه أنزل هذا القرآن بيانا يبين فيه ما لخلقه إليه الحاجة من أمر دينهم، وهو مع ذلك ذكر لرسول الله ﷺ وقومه وشرف لهم(٥).

وقال البغوي : قال ابن عباس: أي: بما فيه فخرهم وشرفهم، يعني القرآن، فهو كقوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡ﴾، أي: شرفكم، ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم (١١/ ٢٧٣).
(٢) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٣٩).
(٣) غريب القرآن (١/ ٢٥٦).
(٤) معاني القرآن للزجاج (٤/ ١٩).
(٥) تفسير الطبري (١٩/ ٥٨).

لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ﴾، أي: شرف لك ولقومك. ﴿فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ﴾ يعني عن شرفهم، ﴿مُّعۡرِضُونَ﴾.

٣. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾ [الزخرف :٤٤].

فقوله: ﴿لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ﴾: أي شرف لك ولقومك.

وبذلك فسر المفسرون، حيث قال ابن جرير الطبري في تفسيره: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن هذا القرآن الذي أوحي إليك يا محمد الذي أمرناك أن تستمسك به لشرف لك ولقومك من قريش: ﴿وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾ يقول: وسوف يسألك ربك وإياهم عما عملتم فيه، وهل عملتم بما أراكم ربكم فيه؟ وانتهيتم عما نهاكم عنه فيه؟

ثم ذكر هذا التفسير عن ابن عباس ومجاهد حيث قال:﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ﴾ قال: يقال للرجل: من أنت؟ فيقول من العرب.

فيقال: من أي العرب؟ فيقول: من قريش.

كما رواه عن السدي وابن زيد حيث قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ﴾ أولم تكن النبوة والقرآن الذي أنزل على نبيه ﷺ ذكر له ولقومه[(١)].

وبه قال الفراء وابن قتيبة، والزجاج، وابن الجوزي وقال:

وفي قومه ثلاثة أقوال:

أحدها: العرب قاطبة.

والثاني: قريش.

والثالث: جميع من آمن به. وقال: قال ابن قتيبة: إنما وضع الذكر موضع الشرف لأن الشريف يذكر[(٢)].

وقال ابن كثير: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ﴾ قيل معناه لشرف لك ولقومك، قاله

(١) تفسير الطبري (٢١: ٦١٠/ ٦١١).

(٢) انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ٣٤) وغريب القرآن لابن قتيبة (١/ ٣٤٤) ومعاني القرآن للزجاج (٤/ ٤١٣).

ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد واختاره ابن جرير ولم يحك سواه[١].

المطلب الثاني: دلالات هذا المعنى في الذكر الحكيم

لقد اختار الله لهذه الأمة الفاضلة خير كتبه، فأنزله على خير رسله، وضمن كتابه هذا من علمه، وبالغ حكمته، ما به ينال الشرف، ويتحصل، فشرف به قومه قريش، بل وكل من آمن بهذا الكتاب وتعلق به نال به شرفاً.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «قيل معناه: إنه شرف لهم، من حيث أنه أنزل بلغتهم، فهم أفهم الناس له، فينبغي أن يكونوا أقوم الناس به، وأعملهم بمقتضاه، وهكذا كان خيارهم وصفوتهم، من الخلص من المهاجرين السابقين الأولين، ومن شابههم، وتابعهم»[٢].

وتقدم قول مجاهد الذي مفاده أن الرجل ينتسب إلى قريش الذي أنزل القرآن بلغتهم فيشرف بذلك.

ولذا نالت قريش به الشرف، لما آمنت به، فارتفع صيتهم، وعلا ذكرهم، وصارت الولاية على الناس لهم، وقد ذكر البغوي عند هذه الآية [٣] حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا أكبه الله على وجهه ما أقاموا الدين**»[٤].

فدل أن شرفهم منوط بتمسكهم بهذا الكتاب.

قال السعدي: «﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي هذا القرآن الكريم ﴿لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ﴾ أي فخر لكم ومنقبة جليلة ونعمة لا يقادر قدرها»[٥].

وهو شرف لأهله في الدنيا والآخرة، والشرف منوط به كيف لا ! وقد قال نبي

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٢٩).

(٢) المصدر السابق (٧/ ٢٢٩).

(٣) تفسير البغوي (٧/ ٢١٥).

(٤) رواه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب: باب مناقب قريش (٤/ ١٧٩) ح (٣٥٠٠).

(٥) تفسير السعدي (١/ ٧٦٦).

الهدى ﷺ: «**فإن هذا القرآن طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبدا**»(١).

وقد نالت الأمة كلها به العزة والشرف، ولذا قال عمر رضي الله عنه:«نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ؛ فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله»(٢).

والإسلام شرعة القرآن. وهو عز وشرف لصاحبه في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فقال ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»(٣).

ومن شرف القرآن وتشريفه لصاحبه في الدنيا أن يقدم على من سواه، في عبادة هي من أجل العبادات ؛ ليكون إماما يقتدى به، ويؤمن على دعائه، قال ﷺ: «**يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ**»(٤).

وقد أمَّر رجلا على رفقته، لأنه أقرؤهم لكتاب الله تعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بعث رسول الله ﷺ بعثا، وهم نفر، حتى مر على رجل منهم، هو من أحدثهم سنا، فقال: **ماذا معك يا فلان؟**

قال: معي كذا وكذا، وسورة البقرة. قال: **معك سورة البقرة؟**

قال: نعم. قال: **اذهب فأنت أميرهم**(٥).

وأصح منه ما أخرجه البيهقي في دلائل النبوة من حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال: «استعملني رسول الله ﷺ وأنا أصغر الستة الذين وفدوا عليه من

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٨/ ٣٤٦) وصححه الألباني في الصحيحة (٧١٣).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٣/ ٤١) والحاكم في المستدرك (١/ ٦٢) وصححه الألباني في الصحيحة باب (٥٢).

(٣) رواه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن: باب "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" (٦/ ١٩٢) ح (٥٠٢٧).

(٤) رواه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلمه القرآن وعلمه (٦/ ١٩٢).

(٥) رواه ابن خزيمة في صحيحه: كتاب الإمامة في الصلاة: باب استحقاق الإمامة بالازدياد من حفظ القرآن، (٣/ ٥) ح (١٥٠٩) وابن حبان في صحيحه: باب فرض متابعة الإمام: ذكر استحقاق الإمامة بالازدياد من حفظ القرآن (٥/ ٤٩٩) ح (٢١٢٦). وضعفه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٤/ ٢٩) لأن فيه (عطاء مولى أبي أحمد) قال فيه ابن حجر : مقبول من الثالثة (التقريب ١/ ٣٩٢).

ثقيف، وذلك أني كنت أقرأ سورة البقرة»[(١)].

وكان ﷺ يقدم في القبر يوم أحد الأكثر حفظا للقرآن.

فقد روى البخاري عن جابر ﷺ قال: «كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: **أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟** فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد»[(٢)].

وكان الصحابة ﷺ يعرفون لصاحب القرآن فضله وشرفه، قال أنس ﷺ: «كان الرجل إذا قرأ سورة البقرة وآل عمران جد فينا[(٣)]، أي عظم قدره».

ولا يزال الشرف والعلو مصاحب لصاحب القرآن في الآخرة، حيث يعلو قدره، ويظهر شرفه، بل ويشرف به أقوام.

فقد روى عبد الله بن عمرو ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ؛ فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**»[(٤)].

وعن ابن عمر ﷺ قال: «يجيء القرآن يشفع لصاحبه يقول: يا رب لكل عامل عمالة من عمله، وإني كنت أمنعه اللذة والنوم فأكرمه، فيقال: ابسط يمينك، فيملأ من رضوان الله، ثم يقال: ابسط شمالك، فيملأ من رضوان الله، ويكسى كسوة الكرامة، ويحلى حلية الكرامة، ويلبس تاج الكرامة»[(٥)].

وأكرم بذلك من شرف، وعز، ورفعة، وعلو مكانة.

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي : (٥/ ٣٠٨).

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز: باب الصلاة على الشهيد (٢/ ٩١) ح (١٣٤٣).

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٩/ ٢٤٧).

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده (١١/ ٤٠٤) وأبو داود في سننه: كتاب الصلاة. باب تفريع أبواب الوتر (٢/ ٧٣) ح (١٤٦٤) والترمذي في جامعه: أبواب فضائل الصلاة : باب ١٨(٥/ ٢٧) ح (٢٩١٤) وقال الترمذي حسن صحيح.

(٥) رواه الترمذي في سننه (٤/ ٢٠٨٨) والترمذي في جامعه أبواب فضائل القرآن: باب ١٨. (٥/ ٢٨) ح (٢٩١٥) وحسنه الألباني في صحيح وضعيف الترمذي (٦/ ٤١٥).

المبحث الثالث

القرآن ذكر للمعاد والجزاء

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: دلائل هذا المعنى في الذكر الحكيم

من أكثر ما ذكر الله تعالى في كتابه الذكر المبين أمر المعاد، فقد أبدى فيه وأعاد، وقرر وكرر، وذلك لأن القوم الذين أنزل عليهم الذكر كانوا ينكرون المعاد، كما ذكر الله عنهم في غير ما موضع، كما سيأتي بيانه.

وقد جاءت آيات كثيرة جدا فيها أمر المعاد، وآيات نصت على ذكر المعاد والتذكير به، من ذلك:

١. قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾[ق: ٤٥] : حيث جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ٤١ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ٤٢ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ٤٣ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ٤٤﴾ [ق : ٤١-٤٤] .

ثم قال تعالى: ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق :٤٥].

٢. وقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ﴾ [الأنعام :٧٠].

٣. وقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ٧ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ١١ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ١٢ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ١٣ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾ [التكوير:١-١٤].

٤. وقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ٤ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ٥﴾[الانفطار :١-٥].

٥. وقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق : ١-٦].

في هذه الآيات ذكر مقدمات، وأحوال، وأهوال، من أهوال يوم القيامة، وعظيم أحوالها.

المطلب الثاني: دلالات هذا المعنى وبيانه في الذكر الحكيم

إن من القضايا العظيمة التي ذكرها كتاب الله الذكر المبين مما هي مندرجة تحت قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ ذكر يوم القيامة بمقدماته، وأهواله وأحوال الناس فيه، وما يكون فيه من المواقف العصيبة، والأحوال المتنوعة والمتعددة، كما ذكر الله في كتابه (الذكر الحكيم) الأدلة العقلية، والمشاهد المحسوسة على أن يوم القيامة حق، لا ريب فيه.

وقد كثر هذا جدا في السور المكية، وذلك لأن القوم الذين بعث فيهم النبي ﷺ كانوا في الجملة ينكرون البعث والنشور، كما ذكر الله هذا عنهم في غير ما موضع فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٢٤ ﴾ [الجاثية : ٢٤].

والمراد بقولهم: نموت ونحيا أي نموت نحن ويحيا أولادنا.

قال البغوي: وقالوا: يعني منكري البعث ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾: أي ما الحياة إلا حياتنا الدنيا ﴿ نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ : أي يموت الآباء ويحيا الأبناء.

قال الطبري: فجعلوا حياة أبنائهم بعدهم حياة لهم، لأنهم منهم وبعضهم، وكأنهم بحياتهم أحياء، وذلك نظير قول الناس: ما مات من خلف ابنا مثل فلان.

قال ويحتمل وجها آخر وهو أن يكون معناه: نحيا ونموت، على وجه تقديم

الحياة قبل الممات، كما يقال: قمت وقعدت، بمعنى: قعدت وقمت; والعرب تفعل ذلك في الواو خاصة(١).

ومما يؤكد هذا قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ﴾ [سبأ:٧، ٨]، ولهذا جاء إثبات البعث والنشور في غير ما موضع من كتاب الله تعالى، والاستدلال على المعاد بالمبدأ كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيّٗا ۝٦٦ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ۝٦٧ ﴾ [مريم : ٦٦، ٦٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ۝٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس :٧٨، ٧٩] .

وأما يوم القيامة: فقد أبدى القرآن فيه وأعاد، وأقسم به رب العباد، فقال: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [القيامة:١] .

وعظم شأنه بذكره بأسماء عديدة ؛ منها الحاقة، والقارعة، والصاخة، والطامة الكبرى.

كما ذكر الله تعالى أهوال ذلك اليوم الذي يبدأ بخراب الدنيا: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۝٤ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ﴾ [الانفطار :١-٥].

وذكر ما يتعلق بأحداث يوم القيامة، من نشر وحشر، وعرض وحساب، وصراط وميزان، ومحاجات ومجادلات، وذلك في كتاب الله تعالى كثير جدا، وذلك كله مندرج تحت قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكۡرٞ﴾ .

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٨٧).

المبحث الرابع
القرآن ذكر للشريعة

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: دلائل هذا المعنى في الذكر الحكيم

ورد في كتاب الله تعالى آيات كثيرة تدل على معنى أن القرآن ذكر للشريعة، ويندرج هذا تحت قوله ﴿هَٰذَا ذِكۡرٞ﴾ وسأورد بعض الآيات الدالة على هذا المعنى التي جاءت بلفظ الذكر نصا أو تقريرا، فمن تلك الآيات:

١. قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ٩٩ مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا﴾ [طه: ٩٩، ١٠٠].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا﴾ : أي عطية نفيسة ومنحة جزيلة من عندنا ﴿وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا﴾، وهو هذا القرآن الكريم ذكر للأخبار السابقة واللاحقة، وذكر يتذكر به ما لله تعالى من الأسماء والصفات الكاملة، ويتذكر به أحكام الأمر والنهي وأحكام الجزاء، وهذا مما يدل على أن القرآن مشتمل على أحسن ما يكون من الأحكام التي تشهد العقول والفطر بحسنها وكمالها، ويذكر القرآن ما أودع الله فيها(١).

٢. قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤].

فـ ﴿مَا﴾ موصولة وهي من ألفاظ العموم، وبيان النبي ﷺ لعموم الذكر وما تضمنه ذلك من بيان للشريعة وحدودها ومعالمها التي جاء بها الكتاب وكذا التي أوحى الله تعالى بها إلى نبيه ﷺ من السنة.

(١) تفسير السعدي (١/ ٥١٣).

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأفضل أهل الذكر أهل هذا القرآن العظيم، فإنهم أهل الذكر على الحقيقة، وأولى من غيرهم بهذا الاسم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ﴾ أي: القرآن الذي فيه ذكر ما يحتاج إليه العباد من أمور دينهم ودنياهم الظاهرة والباطنة، ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ وهذا شامل لتبيين ألفاظه وتبيين معانيه، ﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيه فيستخرجون من كنوزه وعلومه بحسب استعدادهم وإقبالهم عليه(١).

٣. قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠]، وهذه الآية كما ذكر العلماء أجمع آية في الخير والشر، والشرع كله يندرج تحتها فهو أمر ونهي، أمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وهذا يشمل الأمر بالخير كله. ونهي عن الفحشاء والمنكر والبغي، وهذا يشمل المنهيات كلها. لذا قال تعالى في ختام الآية: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد تفسير هذه الآية: فصارت هذه الآية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات، لم يبق شيء إلا دخل فيها، فهذه قاعدة ترجع إليها سائر الجزئيات، فكل مسألة مشتملة على عدل، أو إحسان، أو إيتاء ذي القربى، فهي مما أمر الله به.

وكل مسألة مشتملة على فحشاء أو منكر أو بغي فهي مما نهى الله عنه، وبها يعلم حسن ما أمر الله به وقبح ما نهى عنه، وبها يعتبر ما عند الناس من الأقوال، وترد إليها سائر الأحوال، فتبارك من جعل في كلامه الهدى والشفاء، والنور، والفرقان بين جميع الأشياء.

(١) تفسير السعدي (١/ ٤٤١).

ولهذا قال: ﴿يَعِظُكُم﴾ به أي: بما بينه لكم في كتابه بأمركم بما فيه غاية صلاحكم ونهيكم عما فيه مضرتكم. ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ما يعظكم به فتفهمونه وتعقلونه، فإنكم إذا تذكرتموه وعقلتموه عملتم بمقتضاه فسعدتم سعادة لا شقاوة معها(١).

المطلب الثاني : دلالات هذا المعنى وبيانه في الذكر الحكيم

لا شك أن القرآن الكريم قد حوى شرعة رب العالمين بأوامرها ونواهيها سواء فيما ذكر فيه صراحة، أو فيما أحيل فيه العباد على سنة النبي ﷺ المأمور بالإتباع، الذي طاعته من طاعة الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [التغابن : ١٢] وقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ [النساء:٨٠] وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الحشر:٧] وقد أمر الله نبيه ببلاغ ما أوحى إليه كله ؛ كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٦٧] كما أمره ببيانه كله فقال: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل :٤٤] لذا جاءت الأوامر بالتكاليف الشرعية في الكتاب مجملة ومفصلة، وتولى النبي ﷺ بلاغها وبيانها، فمثلا أمر الله بإقامة الصلاة في كتابه فأقامها نبيه ﷺ، وبين كيفيتها بقوله وفعله ثم قال لأصحابه: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»(٢).

كما دعا سبحانه لحج بيته، فبين النبي ﷺ مناسك الحج، وحج على ناقته القصواء، وأدى أكثر المناسك ؛ من طواف، ووقوف بعرفة، ورمي للجمار، وهو على ناقته القصواء، ليراه الناس، فيقتدوا به في كيفية امتثال شرع الله في هذا النسك

(١) المرجع السابق بصحيفته .

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب: باب رحمة الناس والبهائم (٨/ ٩) ح (٦٠٠٨).

العظيم، وكان يقول: «**خذوا عني مناسككم**»(١).

وكم جاء في الذكر الحكيم من شرائع الله المحكمة بالأمر والنهي، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج : ٧٧] وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ الآية [المائدة:٦] وقوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة : ٤٣] وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة:١] وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُ﴾ [البقرة:٢٨٢]، وغير ذلك من الآيات التي تضمنت أوامر شرعية في هذا الذكر الحكيم.

وأما عن المحرمات فقد جاءت بصيغ متعددة ؛ فتارة تكون بصيغة النهي كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠]، وقوله: ﴿إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة:٩]، وتارة بصيغة التحريم كقوله: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ الآية [المائدة:٣]، وقوله: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ﴾ الآية [النساء:٢٣]، وتارة بصيغة نفي الحِّل كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗا﴾ [النساء:١٩] وتارة بصيغة النهي كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ

(١) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الحج: باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا (٢/ ٩٤٣) ح (١٢٩٧).

وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٨٨]، وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ الآية [الأنعام : ١٥١]، وتارة بالوعيد على أمر معين كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء:١٠]، وقوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٣]، إلى غير ذلك من الصيغ والأساليب التي جاءت لبيان الشريعة في هذا الذكر الحكيم، وكل ذلك مندرج تحت قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾.

المبحث الخامس
القرآن ذكر للنعم

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: دلائل هذا المعنى في الذكر الحكيم

إن ربنا تبارك وتعالى هو المنعم المتفضل، وقد تعرف لعباده بإنعامه وآلائه؛ ليحمدوه ويشكروه، فهو سبحانه يحب الحمد، ويجزي عليه أحسن الجزاء ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

لذا كثر ذكر نعم الله تعالى في هذا الذكر الحكيم، كثرة بالغة.

فمن الآيات التي ذكر الله فيها نعمه على عباده، وأمرهم في كتابه (الذكر الحكيم) أن يذكروها ما يلي:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر : ٣].

وقوله تعالى : ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [المائدة : ٧].

وقوله تعالى : ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة :٢٣١].

المطلب الثاني: دلالات هذا المعنى وبيانه في الذكر الحكيم

إن نعم الله على عباده كثيرة ولا تحصى، ولا تدخل تحت الحصر ولا تستقصى، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [ابراهيم :٣٤].

والله هو الغني الحميد المنعم المتفضل المالك للملك، والعباد منغمسون في نعم ربهم، وبنعمته أوجدوا، ولم يكونوا يملكون شيئا لا في ذواتهم ولا خارجها قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ

وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل:٧٨] وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ [النحل : ٥٣].

وحيث أن ربنا تعالى هو المنعم المتفضل، والعبد منعم عليه، والله تعالى يحب العدل والإحسان، فقد أحب سبحانه من عباده أن يعرفوه بنعمه، ويشكروه على نعمه ؛ لاستحقاقه، ولأنه يحب الحمد، كما قال النبي ﷺ: «**أما إن ربك يحب الحمد**»[(١)] وليحفظ على العباد نعمه، ويزيدهم من فضله كما تقدم في قوله تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم : ٧].

والله تعالى يذكر في كتابه نعمه إجمالا وتفصيلا.

يقول تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ [البقرة :٢٣١] .

فلفظ النعمة هنا عام في النعم كلها ؛ لأنه مفرد مضاف فيعم، ومما يدل على هذا قول الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني تعالى ذكره بذلك: واذكروا نعمة الله عليكم بالإسلام الذي أنعم عليكم به فهداكم له، وسائر نعمه التي خصكم بها دون غيركم من سائر خلقه[(٢)].

ويقول السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾.

عموما، باللسان ثناء وحمدا، وبالقلب اعترافا وإقرارا، وبالأركان بصرفها في طاعة الله[(٣)].

ومن التفصيل ؛ ذكر بعض نعمه عليهم، وأعظمها نعمة إنزال الكتاب والحكمة، كما قال تعالى في الآية السابقة: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ [البقرة :٢٣١].

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه (٢/ ٧١٢)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) تفسير الطبري (٥/ ١٥).

(٣) تفسير السعدي (١/ ١٠٣).

ونعمة الهداية لهذا الدين كما قال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

وقوله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [المائدة: ٧].

ثم بقية النعم، كنعمة الخلق والإيجاد والرزق والإنعام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [فاطر:٣].

ونعمة الاجتماع والائتلاف: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وغير ذلك من ذكر نعم الله والتذكير بها في هذا الذكر الحكيم ما يندرج تحت قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكۡرٞ﴾.

المبحث السادس

القرآن ذكر لأصل الإنسان

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول : دلائل هذا المعنى في الذكر الحكيم

جاء في كتاب الله تعالى آيات عديدة، تذكر خلق الإنسان، وتذكِّر به لمقاصد عظيمة، فمن تلك الآيات ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝٦٦ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم:٦٦، ٦٧] يقول الطبري في تفسيره: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الكافر الذي لا يصدق بالبعث بعد الموت ﴿أُخْرَجُ حَيًّا﴾، فأُبعث بعد الممات وبعد البلاء والفناء ؟! إنكارا منه ذلك، يقول الله تعالى ذكره: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ المتعجب من ذلك المنكر قدرة الله على إحيائه بعد فنائه، وإيجاده بعد عدمه في خلق نفسه، أن الله خلقه من قبل مماته، فأنشأه بشرًّا سويا من غير شيء ﴿وَلَمْ يَكُ﴾ من قبل إنشائه إياه ﴿شَيْـًٔا﴾ فيعتبر بذلك، ويعلم أن من أنشأه من غير شيء لا يعجز عن إحيائه بعد مماته، وإيجاده بعد فنائه[(١)].

١ – قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: قد علمتم أن الله أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئا مذكورا، فخلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة، فهلا تتذكرون وتعرفون أن الذي قدر على هذه النشأة –وهي البداءة–قادر على النشأة الأخرى، وهي الإعادة بطريق الأولى والأحرى، وكما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم : ٢٧]، وَقَالَ: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم:٦٧]، وَقَالَ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ

(١) تفسير الطبري (١٨: ٢٢٧).

مُّبِينٞ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٧-٧٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡۦِيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [القيامة:٣٦-٤٠].

وغير ذلك من الآيات التي سيأتي بيانها ولكن اكتفيت بما فيه النص على الذكر والتذكر، أو جاء التذكير فيها ضمناً مما يندرج تحت قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكۡرٞ﴾.

المطلب الثاني: دلالات هذا المعنى وبيانه في الذكر الحكيم

لقد ذكَر الله تعالى في كتابه (الذكر المبين) أصل نشأة الإنسان وبيان خلقه وذكَّر بذلك لمقاصد عظيمة منها:

بيان عظيم قدرة الله تعالى الذي خلق الإنسان من عدم، وأوجده وصوره في أحسن تصوير، فقال واصفا نفسه ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ﴾ أي المقدر للأشياء قبل وجودها، والموجد لها على ما قدر، والمصور لها كما يشاء، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار:٦-٨] قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ﴾ أي: الذي إذا أراد شيئا قال له: كن، فيكون على الصفة التي يريد، والصورة التي يختار. كقوله: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾.

ولهذا قال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ﴾ أي: الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها.[1].

وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا﴾ [الفرقان : ٥٤].

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٨٠).

ومن مقاصد ذلك بيان إنعام الله على هذا المخلوق كما قال: ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:١-٢].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار : ٦-٨].

ومن تلك المقاصد لهذا الذكر أن يعرف الإنسان ضعفه، وحقارة أصله، فلا يتكبر على ربه، بل يشكره، ويثني عليه بما هو أهله.

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ [السجدة : ٦-٩].

ومن تلك المقاصد لهذه الذكرى الاستدلال بالمبدأ على المعاد، فالذي خلق من عدم، قادر على أن يعيده مرة أخرى، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الروم:٢٧].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾ [الحج:٥].

فهذا ذكر لخلق الإنسان، وأطواره، ذكره الله في كتابه (الذكر الحكيم) لهذه المقاصد العظيمة وغيرها.

المبحث السابع

القرآن ذكر لقصص الأولين

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: دلائل هذا المعنى في الذكر الحكيم

جاء في كتاب الله تعالى آيات تبين هذا المعنى : أن القرآن ذكر لأخبار الأولين وقصصهم . بما تضمنته من عظات وعبر، نصا وتضمنا، ومن تلك الآيات:

١. قوله تعالى:﴿ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِي ﴾ [الأنبياء:٢٤] .

يقول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله ﴿هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ﴾ يقول: هذا الذي جئتكم به من عند الله من القرآن والتنزيل، ﴿هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ﴾ يقول: خبر من معي مما لهم من ثواب الله على إيمانهم به، وطاعتهم إياه، وما عليهم من عقاب الله على معصيتهم إياه وكفرهم به ﴿وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِي﴾: يقول: وخبر من قبلي من الأمم التي سلفت قبلي، وما فعل الله بهم في الدنيا وهو فاعل بهم في الآخرة[(١)].

وهذا وجه الشاهد من الآية على هذا التفسير.

٢. ما ذكر تعالى في سورة مريم من أخبار في كتابه: قال: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [مريم :٢].

حيث تقدير الكلام: هذا ذكر رحمة ربك كما قدره غير واحد.

وهو الصواب: قال البغوي: وهذا الذي نتلوه عليك ذكر رحمة ربك عبده زكريا[(٢)].

قلت: ودليل ذلك أنه قال بعد ذلك: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾ [مريم:١٦] .

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٤٢٦) وانظر تفسير البغوي (٣/ ٢٨٦).

(٢) تفسير البغوي (٣/ ٢٢٥).

ثم اتبع بذكر طائفة من الأنبياء، مبينا حسن فعالهم، وكرامتهم على ربهم فقال ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا﴾ ثم موسى ثم إسماعيل ثم إدريس.

٣. قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ﴾ [القمر:٤].

قال الطبري: وقوله ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ﴾ [القمر:٤] : يقول تعالى ذكره: ولقد جاء هؤلاء المشركين من قريش الذين كذّبوا بآيات الله، واتبعوا أهواءهم من الأخبار عن الأمم السالفة، الذين كانوا من تكذيب رسل الله على مثل الذي هم عليه، وأحلّ الله بهم من عقوباته ما قصّ في هذا القرآن ما فيه لهم مزدجر، يعني: ما يردعهم، ويزجرهم عما هم عليه مقيمون، من التكذيب بآيات الله، وهو مُفْتَعَلٌ من الزَّجْر(١).

وقال البغوي : ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم﴾، يعني أهل مكة، ﴿مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ﴾، من أخبار الأمم المكذبة في القرآن، ﴿مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ﴾، متناهى مصدر بمعنى الازدجار، أي نهي وعظة، يقال زجرته وازدجرته، إذا نهيته عن السوء، وأصله مزتجر، قلبت التاء دالا.

﴿حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ﴾ يعني القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية في الزجر، ﴿فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ﴾، يجوز أن تكون (ما) نفيا على معنى فليست تغني النذر، ويجوز أن يكون استفهاما، والمعنى: فأي شيء تغني النذر إذا خالفوهم وكذبوهم، كقوله: ﴿وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يونس:١٠١]، والنذر جمع نذير(٢).

٤. قوله تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ [المائدة:٢٧].

٥. قوله تعالى:﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ [الأعراف:١٧٥] .

٦. قوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ ﴾ [يونس:٧١] .

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٧٢).

(٢) تفسير البغوي (٤/ ٣٢٢).

فقد أمر الله نبيه ﷺ أن يتلو -أي يقرأ ويقص- مذكراً بهذه الأنباء التي فيها أبلغ الزواجر، وأنفع المواعظ، فهذا ذكر لتلك الأقاصيص .

يقول القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ ﴾ أمره عليه السلام أن يذكرهم أقاصيص المتقدمين، ويخوفهم العذاب الأليم على كفرهم(١).

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى العظيم، المندرج تحت قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا ذِكۡرٞ ﴾، وهو ذكر أحوال السابقين ؛ للاتعاظ والاعتبار.

المطلب الثاني: دلالات هذا المعنى وبيانه في الذكر الحكيم

لقد تضمن القرآن الكريم فيما تضمن أخبار الأولين، فذكر الله في كتابه أخبار الدعاة إلى الحق من الأنبياء والمرسلين، وأهله وأنصاره، ليكون ذلك حاديا للمؤمن في سيره إلى ربه، متبعا مهتديا مقتديا، ولئلا يستوحش في سيره من قلة السالكين السائرين معه، إذا علم أنه قد سبقه أئمة هدى، ومصابيح دجى، لذا أمرنا أن نسأل الله كل يوم مراراً : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

وأولئك الذين أنعم الله عليهم هم الذين وصفهم الله بقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ [النساء:٦٩].

ممن هدى الله وأمر باتباعهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾[الأنعام:٩٠].

فمكن لهم في الأرض، ووعدهم أحسن العِدة ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ [يونس:٢٦].

كما ذكر تعالى في كتابه أخبار الصادين عن الحق، المناوئين له، الساعين في الأرض بالفساد، الذين تنكبوا الصراط المستقيم ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا

(١) تفسير القرطبي (٨/ ٣٦٢).

عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف:٤٥]، وما نزل بهم العذاب الأليم، والنكال الشديد، حتى كانوا خبراً بعد عين، ليكون ذلك واعظاً وزاجراً ومحذراً من سلوك سبيلهم، واتباع سيء آثارهم لئلا يصيب المرء مثل ما أصابهم.

وقصص القرآن أصدق القصص، وأحسن القصص، وأنفع القصص.

فهي أصدق القصص لأنها ليست أساطير، ولا من نسج الخيال -حاشاها- وإنما هي حق ثابت لا شك فيها كما وصفها العليم الخبير بقوله ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الكهف: ١٣] وقوله ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:٦٢].

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود:١٢٠] وهي أحسن القصص لحسن سبكها، وصياغتها، وبديع فوائدها، وبالغ حكمها، وعظيم عبرها ودروسها.

وهي أنفع القصص لأنها تنص على موضع العظة والعبرة، ولا تشغل الذهن بما سوى ذلك، مما لا يتعلق به عظة وعبرة ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢] فليس العبرة في عدد أصحاب الكهف، ولهذا لا ينبغي أن يوقف عنده، ولا يشغل الذهن به، ولا تجعله قضية ضرورية ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ وإنما العظة والعبرة ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾.

فقد ذكر الله تعالى في كتابه قصص الأخيار وأمر نبيه ﷺ أن يذكُرها، ويذكِّر بها ليؤتسى بهم، ويهتدى بهداهم كما تقدم، لذا لما ذكر الله مقام صفوة من رسله المصطفين الأخيار، وعباده الأبرار، أمر نبيه ﷺ أن يقتدى بهم فقال:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ

عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ إلى أن قال ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٨٣-٩٠] .

ثم أمرنا نحن أن نقتدي بنبينا ﷺ فقال: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١] فالمقتدي منا بنبينا ﷺ هو على منهاج الأنبياء والصالحين جميعا، وصراطهم المستقيم.

كما ذكر تعالى في كتابه نبيه سليمان عليه السلام ليكون فيه ذكرى للمؤمنين الشاكرين حينما يملكون حيث قال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩]، ثم ذكر شيئا مما يجب تذكره فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾.

إلى قوله: ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [ص:٣٩ -٤٠]، وفي هذا بيان أن العبد مهما تذكر فلابد أن يحصل منه شيء، فليكن أواباً، متأسياً بصفوة خلق الله، ومنهم سليمان عليه السلام [(١)].

ثم أمر نبيه ﷺ أن يذكر في هذا الذكر عبده أيوب ؛ ليكون مثالاً يحتذى في البلاء بعد الابتلاء، والمنحة بعد المحنة، وحسن العاقبة بعد الصبر، فقال: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص:٤١-٤٤]، ثم أمر نبيه ﷺ أن يذكر طائفة من المصطفين الأخيار فقال: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ

(١) انظر نظم الدرر للبقاعي (١٦ / ٣٧٦)

وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾﴾ [ص:٤٨، ٤٩]، كما أمر نبيه أن يذكر هوداً ودعوته، وما واجه من قومه ليكون في ذلك أسوة للدعاة، وعبرة للمعرضين عنه فقال: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [الأحقاف:٢١]، كما ذكر سبحانه، وأمر نبيه في هذا الذكر أن يذكر حال من كذبوا وعاندوا، وما نزل بهم من العذاب الأليم فقال: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ﴿٩٩﴾ مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا﴾ [طه:٩٩، ١٠٠]، ولما ذكر تعالى في سورة القمر ضلال من ضل من أقوام المرسلين، وما نزل بهم من عذاب أليم عقب ذلك بقوله في غير ما آية ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ [القمر:١٦، ١٧]، وكل هذا وغيره ليكون للعباد فيه معتبر ومزدجر ومدكر، ولتقوم عليهم الحجة، ولتقطع معذرتهم لذا قال تعالى: ﴿وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الصافات:١٦٧-١٧٠] وقال: ﴿ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيۡلِۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٤٦-١٣٨]، فكل هذا مما يندرج تحت قوله: ﴿هَٰذَا ذِكۡرٞ﴾.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من بعثه ربه بالآيات البينات المذكرات؛ وبعد:

فبعد معالجة هذا البحث العظيم في موضوعه ومضامينه- وإن كان لا يوفى حقه في مثل هذه العجالة - أخلص للنتائج التالية:

١- أن القرآن فيه ذكر وتذكير لكل ما بالعباد حاجة إليه

٢- أن التذكر مقصد عظيم من مقاصد القرآن الكريم.

٣- أن القرآن أعظم ذكر لله تعالى.

٤- أن القرآن شرف لأهله، يبلغ بهم أسنى المراتب، وأعظم المطالب.

٥- أن القرآن ذكر للمعاد وتذكير به، وفي ذلك صلاح للعباد في العاجل والآجل.

٦- أن القرآن مذكر بالنعم لتشكر فتحفظ وتزداد.

٧- أن القرآن مذكر للإنسان بأصله ليحمد ربه، ويتواضع له.

٨- أن القرآن الكريم قد اشتمل على قصص الأولين بما فيه عبرة للمعتبرين، وذكرى للمدكرين.

٩- أن الحاجة ماسة لمثل هذه الدراسات النابعة من القرآن، وآياته وبيانه.

١٠- أوصي بإفراد كل اسم من أسماء القرآن بدراسة مستقلة في مؤلف خاص لما في ذلك من الفوائد والمنافع .

وبالله التوفيق.

فهرس المصادر والمراجع

١. **بصائر ذوي التمييز إلى لطائف الكتاب العزيز**، محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: محمد علي النجار، إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٤١٦هـ.

٢. **التبيان في أقسام القرآن**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٣. **تفسير ابن أبي حاتم**، عبد الرحمن بن محمد الرازي المتوفى: ٣٢٧هـ) المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة الباز، السعودية/ ط٣/ - ١٤١٩ هـ.

٤. **تفسير ابن عطية** ، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى:٥٤٢هـ) ، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد/ دار الكتب العلمية – بيروت / ط١/ ١٤٢٢هـ.

٥. **تفسير ابن كثير**، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)/ المحقق: سامي بن محمد سلامة / دار طيبة للنشر والتوزيع / ط٢/ ١٤٢٠هـ .

٦. **تفسير البغوي** ، الحسين بن مسعود البغوي الشي (ذ : ٥١٠هـ)/ المحقق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت / ط١ / ١٤٢٠ هـ.

٧. **تفسير السعدي**، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي(المتوفى: ١٣٧٦هـ/ المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق/ مؤسسة الرسالة / الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ.

٨. **تفسير الطبري**، محمد بن جرير بن الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)/ المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة / ط١/ ١٤٢٠هـ.

٩. **تفسير القرطبي**، محمد بن أحمد بن الأنصاري القرطبي(المتوفى: ٦٧١هـ)/ تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة ط٢/ ١٣٨٤هـ.

١٠. **جامع الترمذي**. محمد بن عيسى بن سَوْرة بالترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) ، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت / سنة النشر: ١٩٩٨م.

١١. **ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب**، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) ، المحقق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان – الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

١٢. **الرد على الجهمية للدارمي**، أبي سَعِيدٍ عُثْمَانَ بن سعِيدٍ الدَّارِمِيِّ، المحقق: أَبُوُ عَاصِم الشَّوَامِيّ الأَثَرِي، المكتبة الإسلامية، القاهرة – مصر/ ط١/ ١٤٣١هـ.

١٣. **زاد المسير**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي/ دار الكتاب العربي – بيروت/ ط١/ – ١٤٢٢هـ.

١٤. **السلسلة الصحيحة للألباني**، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) / مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض / ط١/ (لمكتبة المعارف).

١٥. **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (المتوفى:٢٧٥هـ) ، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد/ المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

١٦. **شرح صحيح مسلم للنووي**، محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت / ط٢/ ١٣٩٢هـ.

١٧. **شعب الإيمان للبيهقي**، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)/ مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض/ ط١/ ١٤٢٣ هـ.

١٨. **صحيح ابن حبان**، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)م، شعيب الأرنؤوط / مؤسسة الرسالة، بيروت / ط١/ ١٤٠٨ هـ.

١٩. **صحيح ابن خزيمة**، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (المتوفى: ٣١١هـ) / الدكتور محمد مصطفى الأعظمي/ المكتب الإسلامي – بيروت.

٢٠. **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي/ المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر/ دار طوق النجاه / ط١/ ١٤٢٢هـ.

٢١. **صحيح الجامع للألباني**، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى:١٤٢٠هـ)/ المكتب الإسلامي.

٢٢. **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)/ المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي/ دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٣. **صحيح وضعيف الترمذي للألباني**، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ). مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

٢٤. **غريب القرآن لابن قتيبة**، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(المتوفى: ٢٧٦هـ) المحقق: أحمد صقر/ دار الكتب العلمية / : ١٣٩٨هـ.

٢٥. **مدارج السالكين**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)/ المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت / ط٣/ ١٤١٦ هـ.

٢٦. **مستدرك الحاكم** ، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه (المتوفى: ٤٠٥هـ) ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا/ دار الكتب العلمية – بيروت/ ط١/ ١٤١١هـ.

٢٧. **مسند الإمام أحمد**، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)/ المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون / مؤسسة الرسالة / ط/ ١٤٢١ هـ.

٢٨. **مصنف عبد الرزاق**، عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ) / المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي- الهند / ط٢/ ١٤٠٣هـ.

٢٩. **معاني القرآن للزجاج**، إبراهيم بن السري أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) عالم الكتب – بيروت/ ط١/ ١٤٠٨هـ.

٣٠. **معاني القرآن للفراء**، أبو زكريا يحيى الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)/ المحقق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون / دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر/ الطبعة: الأولى.

٣١. **مقدمة التفسير**، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ) ، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان / الطبعة: ١٤٩٠هـ.

٣٢. **النهاية في غريب الحديث**، مجد الدين أبو السعادات المبارك الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى:٦٠٦هـ) / تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي/ المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص	١٩٥
المقدمة	١٩٦
التمهيد	٢٠١
المبحث الأول: القرآن ذكر لله تعالى	٢٠٧
المطلب الأول: دلائل هذا المعنى في الذكر الحكيم	٢٠٧
المطلب الثاني: دلالات هذا المعنى في الذكر الحكيم	٢٠٧
المبحث الثاني: القرآن ذكر وشرف لقارئه	٢١٢
المطلب الأول: دلائل هذا المعنى في الذكر الحكيم	٢١٢
المطلب الثاني: دلالات هذا المعنى في الذكر الحكيم	٢١٥
المبحث الثالث: القرآن ذكر للمعاد والجزاء	٢١٨
المطلب الأول: دلائل هذا المعنى في الذكر الحكيم	٢١٨
المطلب الثاني: دلالات هذا المعنى وبيانه في الذكر الحكيم	٢١٩
المبحث الرابع: القرآن ذكر للشريعة	٢٢١
المطلب الأول: دلائل هذا المعنى في الذكر الحكيم	٢٢١
المطلب الثاني: دلالات هذا المعنى وبيانه في الذكر الحكيم	٢٢٣
المبحث الخامس: القرآن ذكر للنعم	٢٢٦
المطلب الأول: دلائل هذا المعنى في الذكر الحكيم	٢٢٦
المطلب الثاني: دلالات هذا المعنى وبيانه في الذكر الحكيم	٢٢٦
المبحث السادس: القرآن ذكر لأصل الإنسان	٢٢٩
المطلب الأول دلائل هذا المعنى في الذكر الحكيم	٢٢٩
المطلب الثاني: دلالات هذا المعنى وبيانه في الذكر الحكيم	٢٣٠
المبحث السابع: القرآن ذكر لقصص الأولين	٢٣٢
المطلب الأول: دلائل هذا المعنى في الذكر الحكيم	٢٣٢
المطلب الثاني: دلالات هذا المعنى وبيانه في الذكر الحكيم	٢٣٤
الخاتمة	٢٣٨
فهرس المصادر والمراجع	٢٣٩
فهرس الموضوعات	٢٤٢